الموضوع الثامن عشر

حديث فضل سجود التلاوة

عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان يبكى، يقول: يا ويلى أُمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأُمرت بالسجود فأبيت فلى النار» .

[صحيح مسلم (١١٥) باب الإيمان]

لا زلنا نتناول من أحاديث النبى العظيم (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه) ما يتصل بالقرآن العظيم بحفظه وبتلاوته وبحبه وبمتابعته، عن أبى سعيد رضى الله تعالى أنه رأى رؤيا، وقد ذكرنا الفرق بين الرؤيا والمنام، فإن الرؤيا صادقة من الله ﷻ، أنه رأى رؤيا؛ ماذا رأيت يا أبا سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنك؟ رأى أنه يكتب سورة (ص)، فهناك من الناس يحبون أن يكتبوا المصحف ليس لكى يُطبع، ولا لكى يُباع، ولا هو ناشر ولا موزع كتب، يجلس يكتب المصحف مستمتعاً بكتابته؛ ولذا ذكرنا من قواعد حفظ القرآن الكريم كتابة اللوح الجديد.

فأبو سعيد ﷺ رأى فى الرؤيا أنه جالس ومعه قلم أو معه محبرة، ومعه ريشة، ويكتب سورة (ص) حتى وصل إلى سجدتها فى قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ

بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [ص: ٢٤]. «خر» هذا معنى السجدة، فلما بلغها أبو سعيد أى السجدة رأى الدواة التى يكتب منها والقلم وكل شىء بحضرته انقلب ساجداً قال: فقصصتها على النبى (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه). فأبو سعيد ﷺ عندما رأى الرؤيا من باب الحديث بالنعمة والاسترشاد بهديه (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام) قصها على النبى (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام)؛ هنا مسألة لطيفة، وهى أن سجود القلم، وسجود الدواة، وكذلك سجود الفواكه والنخيل والأشجار والسموات والشمس والقمر كل هذه الأمور حادثة كما فى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحج: ١٨].

أى ألم تعلم- أيها النبى- أن الله سبحانه يسجد له خاضعًا منقادًا مَن فى السموات من الملائكة، ومَن فى الأرض من المخلوقات والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب؟ ولله يسجد طاعة واختيارًا كثير من الناس، وهم المؤمنون، وكثير من الناس حق عليه العذاب فهو مهين، وأىُّ إنسان يهينه الله فليس له أحد يكرمه. إن الله يفعل فى خلقه ما يشاء وَفْقَ حكمته.

فهذه أمور ينبغى أن تقبلها؛ لأنها موجودة فى القرآن العظيم، فإذا ما جاءت فى السنة فإنها ليست بعيدة عن هدى الله تعالى، وعن هديه الشريف (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام) «فلم يزل يسجد بها» [رواه الإمام أحمد ورواته من رواة الصحيح].

فلما قصها على النبى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام فإن النبى وافقه عليها أى أن هذا الموضع فى سورة (ص) تنبغى فيه السجدة وهكذا فعل النبى ﷺ وفعل أبو سعيد رضى الله تعالى عنه، هذا فى سورة (ص).

لذا يجب أن يسجد الإنسان عندما تمر عليه سجدة وهو يقرأ فى المصحف الشريف، ولها علامة أى لها علامة تميزها، وهذه العلامة التى معنا فى خواتيم سورة الإسراء فى قوله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩]، أى ويقع هؤلاء ساجدين على وجوههم، يبكون تأثرًا بمواعظ القرآن، ويزيدهم سماع القرآن ومواعظه خضوعًا لأمر الله وعظيم قدرته.

هنا علامة جميلة تسمى سجدة مكتوب هنا سجدة، الإنسان يتعرف إلى كونها سجدة يسجد، ويقول دعاء سيدنا داود عليه السلام: «اللهم ارفعنى بها درجة واحطط عنى بها خطيئة واجعلها لى عندك زخرا وتقبلها منى كما تقبلتها من نبيك وعبدك داود عليه السلام»، أو يقول ما يشاء، سبحان ربى الأعلى، لا إله إلا الله، اللهم اغفر لى، سجد لك قلبى وفؤادى وعظامى وظلى وشعرى وكل شىء يسجد لك يا رب العالمين.

الإنسان فى هذه السجدة إذا لم يكن حافظًا دعاءً شريفًا، فإنه يستطيع أن يدعو الله تعالى بأى كلام فيه ثناء على الله عز وجل.

حديث فى فضل السجود فى أثناء قراءة القرآن الكريم:

هل هو واجب أم مستحب؟ من باب التأدب أنك تسجد، وإن كان فى الأصل فيه استحباب أى أن أحدهم جالس يقرأ أو يحكى مع الناس، واستمع للشيخ وهو يقرأ آية فيها سجدة أى ما الذى يمنعك أى لو أنك خضعت لقيوم السموات والأرض بالسجود، وأحدهم عندما يستمع وهو سائر فى طريقه إلى شخص يقرأ القرآن حتى وصل إلى آية فيها سجدة ثم وقف فى مكان يجب أن

يقف فى مكان ويومئ برأسه هذه استجابة لله بانفعال الجسد لخالقه هذا أمر طبيعى، هذا أمر جميل.

لماذا ينبغى أن تسجد سجود التلاوة ؟ وتهوى على الأرض تكبر وتنزل وترفع دون أن تسلم، ولكنه يُستحب التؤدة والاطمئنان عندما تؤدى سجدة التلاوة.

عن أبى هريرة – رضى الله تعالى عنه – قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه): «إذا قرأ المسلم السجدة» أى سورة فيها سجدة فعلى سبيل المثال سورة الحج فيها سجدة فى أولها وسجدة فى آخرها، وسورة الأعراف فيها سجدة فى آخرها، وسورة السجدة بها سجدة فى نصفها الأول، وسورة النجم فى آخرها سجدة، وفى سورة النمل سجدة، وعلى المسلم عندما يتلو سورة أو آية فيها سجدة ماذا يفعل؟ يسجد، لا يقول: أنا لم يكن عندى وقت، أنا لست على وضوء، فقد أجاز بعض العلماء لغير المتوضئ أن يسجد سجود التلاوة سماعًا، إذا قرأ فى المصحف لابد أن يسجد؛ لأنه فى حالة عبادة وتعبد حتى لو كان يتعلم، حتى لو كان قاعدا يحفظ ويتعلم، ولكنه مثلاً لو قرأ سورة الإسراء وأتى على السجدة عشرين مرة؛ لأنه يحفظ اللوح يكفى له أن يسجد مرة أو مرتين لكن الذى يسمع أو كان فى الشارع واستمع إلى سجدة وليس متوضأً فلا حرج أن يسجد إيماءة. فيا أخى المسلم لا تضيع على نفسك فرصة أن تكون من القانتين، وأن تكون من الخاشعين، وأن تكون من الساجدين لله رب العالمين .

لماذا ؟لماذا مهمة جدًا هل تعرفون لماذا ؟

عن أبى هريرة – رضى الله تعالى عنه – قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه): «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان» اعتزل فر هاربًا كما يفر عند الأذان «وله صراخ» أى له عويل لا يتحمل أن يرى ساجدًا أمامه؛ ولذلك نذكر هؤلاء الذين لايسجدون ولا يذكرون أن الشيطان يتخذ

الإنسان غير الذاكر وغير المصلى "مبولة" يبول عليه ويتبول فى أذنيه كما أخبر النبى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام.

«إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان» اعتزل، يبكى لماذا يبكى الشيطان؟ يبكى لأن هذه اللحظة لحظة شريفة استطاع أن يكون فيها المسلم أوابًا منيبًا فى اللحظة التى تغطرس فيها كما فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١].

يتحدى الشيطان ربنا ﷻ، يتحدى سيد الكون وخالق الكون ففى قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢].

فأنت الآن لن يقدر على أن يحتنكك، فقد خرجت من عصمته، خرجت من حاشيته، خرجت من عسكره، من حشمه، فعملت ماذا ؟ سجدت، خالفته، خالفت اللعين، فلما خالفت اللعين اعتزل وأخذ يبكى ويقول: يا ويله أى يا ويلى لأننى (بارزت) الرحمن فى حين أن هذا الرجل الصالح، وهذه المرأة الصالحة ساجدين لله رب العالمين، (الحديث برواية مسلم وابن ماجة والبزار من حديث أنس) وفى رواية: يا ويلى، فى رواية قال: يا ويله وسكت، وفى رواية أخرى قال: يا ويلى الكلام للعين، أُمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة (ألا هبى يا رائحة الجنة) فله الجنة وأمرت بالسجود فلم أسجد (فأبيت) فلى النار.

ما هذا الجمال قال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١]، فأمرت بالسجود فأبيت فلىَّ النار، (الحديث رواه الإمام مسلم وابن ماجة والبزار مرة برواية أبى هريرة ﷺ والرواية الأخيرة برواية أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه، وهذا الحديث فى فضل سجود التلاوة).

يا من رفع السماء بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش يدبر الأمر، ما من شفيع إلا من بعد إذنه، يا من يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد، وكل شيء عنده بمقدار، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال. يا من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته. يا من بذكره تطمئن القلوب. يا من يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب. يا من لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب. يا من يعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله شيء فى الأرض. ارزقنى خوف العالمين وعمل الخائفين وخشوع العابدين وعبادة الخاشعين ويقين المتوكلين وتوكل الموقنين المؤمنين وإنابة المخبتين وسائر ما سألك به عبادك الصالحون وما أعطيته النبيين والأئمة الطاهرين والملائكة المقربين، وأصلح لى نفسى القاسية وقلبى الفاسد وعقلى الناقص، وفك عنقى من النار وارزقنى الجنة.

وصل على سيدنا محمد وآله الطاهرين.